

طرف بحيرة طبريا الجنوبي والبحر الميت وطوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه يختلف كثيراً وأوسع نقطة فيه عند نمرين تبلغ نحو ١٠ أميال

أما الأقسام الشمالية من هذا الوادي فتدعى الغوير . وفيه تلال كثيرة اصطناعية ربما كانت حصوناً ومزارع قديمة . وأطراف هذا الوادي الجنوبية الواقعة حوالى البحر الميت جدداء من كثرة الملح المنتشر فيها . والقسم الأكبر منه الآن تابع للإملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك) وتدير شؤونه الزراعية مديرية بيسان ونحن نعتقد رغماً عن الاجتهاد المصروف في تعمير أراضيه واستغلالها بعد أن كانت مهجلة أن أسباب العمران لا تتوفر إلا بتوفير أسباب الأمن والراحة كمد طريق مركبات لتصل بطريق القدس عند أريحا وبطبريا من الطرف الآخر . وفتح مراكز للبريد والتلغراف فيه . وقد كتبنا بذلك مرة إلى رئاسة كومسيون الجفتلك في الشام فأبنا أنها اقتضت على وضع شعبة تلغراف في بيسان وشرعت بتعميد الطوبى حوالها فقط

وبعد استيلاء السمرة على البلاد المعروفة اليوم باسم جبل نابلس صارت طريق اليهود بين الجليل واليهودية تمر بوادي الأردن تحاشياً من اختلاطهم بالسمرة . ويعسر السفر في الغور في أيام الحر لانه يشتد ويكثر البرغش في وقت سكوت الأرياح فيعصي الأبعار ويعم الأذان وأفضل وسيلة لطرده كثرة التدخين

تحرير الصحافة في الشرق

يدعونا إلى الكلام في هذا الموضوع في هذا الجزء فكاهة قرائنا لبعضهم مندمدة وهي قوله في كلامه عن إحدى المجالات ما معناه

« أن تحرير الجرائد والمجلات سهل جداً في هذا العصر . فانه يكفي أن تكون في مكتبة الكاتب دائرة المعارف الأوروبية (انسيكو بيديا) لتكون مجلته أو جريدته علمية تاريخية صحفية فلسفية زراعية سياسية صناعية . إذ باب الترجمة واسع لكل داخل الخ . . »

فجواب المنصف على ذلك أن هذا الانتقاد في محله إذا كان الغرض منه لوم الكتاب لتزكهم « الاختصاص » (انصرف كل عالم إلى علم) واشتغالهم بكل ضروب المنقول والمقول معاً . فيكون أحدهم تاريخياً سياسياً زراعياً صناعياً تجارياً أدبياً فيلسوفاً في وقت واحد مع

انه لو صرف عمره في فن واحد من هذه الفنون لما استطاع اتقانه كما يجب ولما لم بكل ما يكتب فيه . وقد سبقت الجامعة الى هذا الانتقاد في مقالتها « الكتاب الشرقي وحاجاته الجديدة » لان الجهر بالحق واجب وان كان مرًا . ولكن اذا كان الغرض من كلام المنتقد تحقير العاملين في الشرق اليوم فانه تحامل وتناول على الذين يشقون انفسهم بالتعب والكد لنفع الناس . ولو ان اصحاب المجلات الاوروبية والاميركية يسمعون بان في الشرق مجالات وجرائد قد ينفرد باحداها فرد يبدل عرق القربة في تحرير موادها العلمية والادبية والسياسية المختلفة وابوابها المتعددة وان بين قراء الشرق من يجزي اصحابها على ذلك بالنصير والتحقيق جزاء سنمار فانه يدesh من ذلك ويعرف به سرًا من اسرار التآخر في الشرق وهو مقاومة العاملين النافعين

فالمجلات والجرائد في الشرق مضطرة الى تنوع ابحاثها تبعًا لاذواق قرائها . ولو انفردت كل واحدة منها بمادة لما قامت لها قائمة . فالتبعة اذا واقعة بالاكثر على الجمهور اذ ليس بين قرائه قراء يطلبون مادة واحدة ويكفون المجلة المشتغلة بها . ولو وضعت اي عالم من علماء الغرب بين قومه موضع كتابنا بين قومنا اي انك عهدت اليه ان يمر بقله وحده مجلة « تبحث في كل شيء » كما يقولون وتحوز رضى الجمهور الغربي واكرامه لاستعفى اليك بقوله « عفواً فلست حطاباً » وما ذلك الا لانه يرى نفسه مع سعة علمه في فنه عاجزاً عن ارضاء الجمهور الغربي في باقي الفنون لان التأليف عندهم هناك ابتداع لا اتباع . ومن المحال ان يكون الابتداع في جملة فنون لان عمر الانسان قصير وقواه محدودة

ولنا احسن دليل على ذلك في كبير مؤلفي الغرب الفيلسوف ارنت رنان . فانه في مقدمة كتابه « القديس بولس » لم يخجل من التصريح بانه استعان في كتابته هذا الكتاب بالمسيو دارانبورج والمسيو نولايير فيما يخص بالتلود . وبالمسيو برو وهوزي ودي جاردن وكبير فيما يخص بالجوغرافيا . وبالمسيو رنيه واكر وادكنكن فيما يخص باللغتين اليونانية واللاتينية . قال ولم يكن فكري يستريح فيما يخص بشؤون سوريا وآسيا الصغرى الا متى جاء رأيي مطابقاً لرأي المسيو وادكنكن الرحالة المشهور . اي ان رنان كان يقابل من ذكرنا من الاخصائيين في اثناء تأليفه كتابه ويستعين بعلمهم — فاذا كان مؤلف مثل رنان يعتمد على غيره اُحترم على كتاب الشرق الاعتماد على كتاب الغرب الذين سبقوه بمراحل

ثم ان الذين يظنون ان الترجمة والتلخيص امر سهل يخطئون خطأ عظيماً . اذ القصد من الترجمة الصحيحة ابراز نفس مادة المؤلف بقالب مساوٍ لقالها الاصل في القوة والسهولة

والجمال . وهذا يقتضي قوى كقواه . نعم ان ترجمة وتلخيص الفصول التاريخية والنباتية والصحية والطبيعية امر سهل لان الكاتب اذا تصرف فيها لا يشوّها ولا نقضي تعبا غير معرفة الاصول وضبط الاصطلاحات . ولكن ترجمة المواد الفلسفية والادبية على الخصوص يقال كقالبها الاصيل لا يعرف صعوبته الا من عاينه . ولقد صرفنا نصف نهار في ترجمة « صلاة رنان على الاكربول » المنشورة في هذا الجزء . مع اننا متى كانت المواد جاهزة لدينا نكتب بنصف هذه المدة اطول مقالة من مقالات الجامعة تأليفاً او تلخيصاً . وعلى ذلك فترجمة كتلك الترجمة هي في الحقيقة اصعب من التأليف

وبناء على ذلك لا غنى للكاتب اصحاب المجلات والجرائد في الشرق عن الاعتماد على علماء الغرب في جميع فروع الحركة العلمية لان الغرب اليوم مصدرها كما ان الشرق كان مصدرها من قبل وكان الغرب باخذها عنه . والمخلصون منهم الذين يكرهون الشعوبية يعترفون بذلك ويقولون ان وظيفتهم انما هي قائمة باقنطاف المعارف الغربية من حداثى علمائهم الاعلام المنصرفين الى غرس هذه الحداثى علماً وعملاً . اما الذين يجادلون انكار ذلك والنظائر بضده فلا يجوز ايهامهم الا على السذج والعامّة الذين يصدّقون كل ما يقال لهم . ولو لم يكن المنتقد من الفريق الثاني لما صدر هذا الانتقاد عنه

وربما يقال ان الكلام في المواضيع الشرفية لا ينطوي تحت هذا الحكم . فتاريخ الشرق وعادات الشرق وجغرافية الشرق لا تؤخذ الا عن الشرقيين انفسهم . فجاوبنا على ذلك بكل حرية وصراحة ايضا اننا من سوء الحظ في هذا ايضا لا غنى لنا عن علم الغرب وجدّه وصبره . فهناك مستشرقون عظام ينفقون اموالهم واعمارهم في درس الشرق وآثاره معتمدين على مكانتهم الغاصة بكتب علماء الشرق الاولين . ورب واحد منهم يسبح في الشرق سنة ويتفكر ويطلع في موضوعه سنين ويكتبه في سنين ويتقنه في عشر سنوات ثم يبرزه آية في الجمال والكمال . فالموافون في الشرق لا وقت عندهم ولا مال ولا احوال تساعد على هذا الانقطاع فيضطرون الى الاعتماد على رصفائهم الغربيين بالاكثر فياخذون في سنة ما تعب اولئك سنوات في وضعه . واجياناً يذكرون ذلك واجياناً لا يذكرونه . فالشرق لا يزال طفلاً في كل شيء حتي فيما يختص بنفسه . والطفل لا يصير رجلاً بمجرد دعوى الرجولية . واذا كان هذا الطفل لا يزال يجلب ملابسه وآلات عمله وجميع حاجاته من الغرب فهل من الغرابة ان يجلب منه علمه ايضا . هل ان ايجاد العلم اسهل من ايجاد المصنوعات . كلا بل ايجاده اصعب من ايجادها بكثير لانها ليست سوى نتيجة له . ولكن

العلم يسهل انتحاله والمصنوعات لا يسهل انتحالها
وغني عن البيان ان هذا القول لا يشمل التلخيص او التأليف من الكتب الشرقية
العربية التي بين الايدي لان هذا الامر اسهل من التلخيص او التأليف من الكتب
الافرنجية . ذلك لانه لا يستلزم سوى الصبر على المطالعة وحسن التأليف بين المواد الموجودة
امامه في الكتب اي جمعها بعضها الى بعض مع ملاحظة تناقضها ومباغتها
كل ذلك يعترف به الكتاب ولا ينكرونه . وهم يعجبون بغيره بعض الشرفيين الذين
لا يرضون ان تتبع مجلاتهم وجرائدهم خطى علماء الغرب بل يطلبون ترقيةها لتستقل بنفسها
وبعلمها . ولكن هؤلاء الغيورين ينسون من سوء الحظ ان ذلك لا يتم لها بالتداول
والتحامل عليها ولكن بمساعدتها وتشجيعها

اللغة العربية والشرق

بقلم جناب الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي

((يحق للقارئ بعد تلاوة هذه القصيدة الغراء ان يقول معنا هذا هو الشعر العربي
المبين والدرّ التنظيم . وقد خصص كل من نابغي الشعر في مصر نفسه بمقام رفيع يلوذ
به . فشوقي بك شاعر الحضرة الخديوية . وحافظ افندي ابراهيم والشيخ مصطفى افندي
المفلوطي شاعرا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . اما الرافعي ناظم هذه
القصيدة فهو على ما يظهر يجب ان يكون (شاعر الشرق) لكثرة حنينه اليه . وكل من
يعرف شباب الناظم لا يشك في انه سيكون له في هذا الفن في الشرق ارفع مقام اذا استمر
يطلب فنه لذاته ولم يبايس منه ويتشاغل عنه . والان اليك درره في اللغة العربية والشرق))

أُمُّ يَكِيدُ لَهَا مِنْ نَسْلِهَا الْعَقْبُ	ولا نقيصة الا ما جنى النسبُ
كانت لهم سبباً في كل مكرومة	وهم لنكبتها من دهرها سببُ
لا عيب في العرب العرباء ان نطقوا	بين الاعاجم الا انهم عربُ
والطير تصدح شتّى كالانام وما	عند الغراب يزكيّ البلبل الطربُ
اتي عليها طوال الدهر ناصعةٌ	كطلعة الشمس لم تعلق بها الربُ
ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها	كالبرد قد طمست من نوره السحبُ